الإعتصام بالكتاب والسنة نجاة

عبدالرحمن معلم عبدالله حاج صالح (لجر)

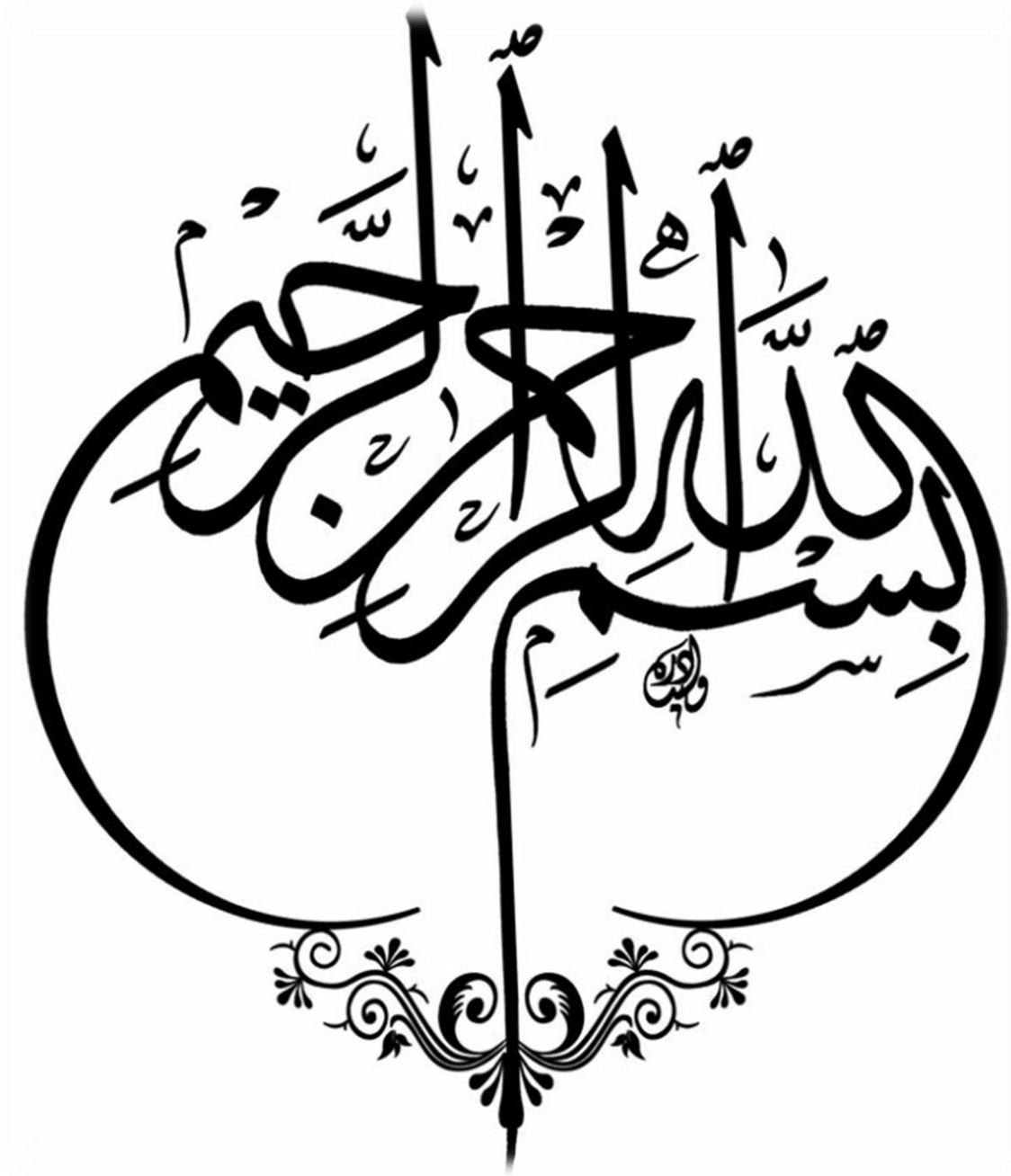
بسم الله الرحمن الرحيم

الإستهلال

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٣

إهداء

إلى أمي الحنون التي حملتني وهنا ووضعتني كرها والدتي **هاجرة شيخ عثمان أحمد** والتي لم أر في قلبها ميلا في حبي فكم كانت تسعى لمصلحتي وتقف إلى جانبي في جميع الأمور والأحوال رحمها الله رحمة واسعة وأسكن الله في جنته الفردوس.

إلى والدي وشيخي ومعلمي المقر **عبد الله حاج صالح** الذي أنار لي طريق المستقبل وغرس في قلبي حب العلم والتعليم والطاعة منذ نعومة أطفاري وبذل كل غال ونفيس في سبيل تربيتي وتعليمي مدد الله عمره بالطاعة والعافية والبركة.

إلى أخوالي الأعزاء.

إلى أرواح إخواني وأخواتي اعترافا لفضلهم وإجلالا لذكرهم.

إلى أقربائي وأرحامي جميعا.

إلي أساتذتي ومشايخي.

إلى كل زميل وباحث.

أهدي إليهم هذا الجهد المتواضع وفاء وتقديرا وعرفانا.

أسال الله أن ينفع به وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

شكر وتقدير

أشكر أولا: إلي الله تعالى الذي خلقنا وهدانا إلى صراط المستقيم قال تعالى:﴿ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ ﴾ الأعراف٤٣

ثمّ أشكر ثانيا: إلى الجامعة الأمريكية المفتوحة إدارة وأساتذة وموظفية لما بذلوا الجهد في تعليم الجيل الجديد ورفع مستوى التعليم في البلاد عموماً

.ولا يفوتني أيضاً أن أشكر كل من ساعدني في إخراج هذه الرسالة أو مد يد العون

مقدمة

الحمدالله رب العالمين والصلاة والسلام علي رسول الله صلي الله عليه وسلم اما بعد

فهذا الكتاب يركز حول مسألة الأعتصام بالكتاب والسنة وهي مسألة عظيمة في حياة المسلم لأن المسلم يجب عليه الإعتصام بدينه والإعتزاز بها وتنفيذ أوامرها وفيها نجاته في الدارين قال تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴾الأنفال24

ودينا شاملة كاملة كافية لامبدل لها ولايستطيع اي مخلوق تغييرها او تبدليها فهي كما نزلت والحمدالله علي حفظه وهي عروة الوثقى التي لا يضل من يمسكها قال تعالى ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾آل عمران: ١٠١

خطة البحث

الفصل الأول:مفهوم الإعتصام بالكتاب والسنة

المبحث الأول:مفهوم الإعتصام لغة واصطلاحا

المبحث الثاني:مفهوم الكتاب لغة واصطلاحا

المبحث الثالث:مفهوم السنة لغة واصطلاحا

الفصل الثاني:أهمية الإعتصام بالكتاب والسنة

المبحث الأول:أهمية الإعتصام بالكتاب

المبحث الثاني:أهمية الإعتصام بالسنة

الفصل الثالث:حكم الإعتصام بالكتاب والسنة

المبحث الأول:حكم الإعتصام بالكتاب

المبحث الثاني:حكم الإعتصام بالسنة

المبحث الأول:مفهوم الإعتصام لغة وإصطلاحا

لا شك أن الاعتصام بالكتاب والسنة هو أساس وأصل النجاة في الدنيا والآخرة. والاعتصام: هو الاستمساك([1])، قال ابن منظور رحمه الله: ((الاعتصام: الاستمساك بالشيء))([2])

فالاعتصام: التمسك بالشيء، ويقال: استعصم: استمسك([3]). قال الله - عز وجل -: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾([4])، والاعتصام بحبل الله، قيل: الاعتصام بعهد الله، وقيل: يعني القرآن؛ لحديث أبي شريح الخزاعي - رضي الله عنه - قال: خرج علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: ((أبشروا، أبشروا، أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟)) قالوا: بلى، قال: ((إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبداً))([5])([6]).

الاعتصام لغة وإصطلاحاً:

مأخوذ من "عصم" وهو في أصل الاستعمال العربي (يدل على إمساك ومنع وملازمة والمعنى في ذلك كله معنى واحد) . ومن أصل الاستعمال يمكن معرفة الانتقال من الأصل اللغوي إلى الاصطلاح الشرعي

فأما أن أصلها: الإمساك

ف (تقول العرب: اعتصمت فلاناً، أي هيأت له شيئاً يعتصم بما نالته يده أي يلتجئ به ويتمسك به و الاعتصام: الإمساك بالشيء

---

[1]).مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ص569

[2]) لسان العرب، 12/ 404

[3]) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، ص570

[4]) سورة آل عمران، الآية: 103

5)أخرجه ابن حبان في صحيحه، 1/ 329، برقم 122، وقال الإمام المنذري في الترغيب والترهيب، 1/ 95، برقم 59: ((رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد))، وقال العلامة الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، 1/ 124: ((صحيح، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، وابن نصر في قيام الليل ص74 بسند صحيح))

6)الاعتصام بالكتاب والسنة أصل السعادة في الدنيا والآخرة ونجاة من مضلات الفتن،د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير، الرياض،ص5

وأعصم إذا تشدد ...وأعصم بالفرس: أي امتسك بعرفة، وكذلك البعير إذا امتسك بحبل من حباله .واستمسك بشيء من أن يصرعه، فرسه أو راحلته)

. (... أصل العصمة: الحبل وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه ...)

(وهذا الأصل ينطبق على الاستعمال الشرعي الذي سمي بـ (الاعتصام) بالكتاب والسنة

قال ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - في شرحه لقول البخاري - رحمه الله - في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة([1])

عصم يعصم من ضرب يضرب: منع ووقى، فالعصمة بمعنى المنعة، والعاصم المانع، وفي قول أبي طالب في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم-: ثمال اليتامى عصمة للأرامل، أي: يمنعهم من الضياع والحاجة، وعصموا مني دماءهم وأموالهم، أي: منعوا، والعصمة من الله: دفع الشر، فالاعتصام بمعنى الامتناع، ولهذا المعنى يفسر بالاستمساك إذ به يمتنع الرجل عن الآفات والمعاصي التي تهلكه، قال في (القاموس) ([2]): اعتصم بالله:]، أي: تمسكوا بالقرآن امتنع بلطفه من المعصية، وقوله تعالى: ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا** ﴾([3]) .والسنة، وقيل: بعهده

وفي (مجمع البحار) ([4]): {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ} أي: التجؤوا إلى الله بطاعته ليحميكم، واعتصم هكذا: التجأ إليه، وفي الدعاء: أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، أي: حافظ لجميع أموري، فإن فسد فسد جميع الأمور، أي: يتمسك ويتقوى به في الأمور كلها، وبالجملة المراد ههنا التمسك بالكتاب والسنة واعتقادهما والعمل بهما، والاجتناب عن البدع والأهواء.([5])

معنى الاعتصام بالكتاب والسنة وأدلة وجوبه لقد أمر الله الأمة بالاجتماع واتحاد الكلمة وجمع الصف على أن يكون أساس هذا الاجتماع الاعتصام بالكتاب والسنة، ونهى عن التفرق وبين خطورته على الأمة في

---

[1]) حقيقة البدعة وأحكامها،سعيد بن ناصر الغامدي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض،ج1،ص50

[2]) .القاموس المحيط" (ص: 1049)"

[3])سورة آل عمران،الآية103

[4]) مجمع بحار الأنوار .(613 /3)،

[5])لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح،عبد الحق بن سيف الدين بن سعد الله البخاري الدِّهلوي الحنفي، تحقيق وتعليق: الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، 1435 هـ - 2014 م،ج1،ص444

الدارين. ولتحقيق ذلك أمرنا بالتحاكم إلى كتاب الله تعالى في الأصول والفروع ونهينا عن كل سبب يؤدي إلى التفرق.

فالطريق الصحيح إلى النجاة هو التمسك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإنهما حصن حصين وحرز متين لمن وفقه الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]. فقد أمر الله تعالى بالاعتصام بحبل الله، وحبل الله هو عهد الله أو هو القرآن كما قال المفسرون، إذ العهد الذي أخذه الله على المسلمين هو الاعتصام بالقرآن والسنة. فقد أمر الله تعالى بالجماعة ونهى عن التفرق والاختلاف. قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾}[2]. وهذا شامل لأصول الدين وفروعه الظاهرة والباطنة

وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول على حكم الشيء كنص الله تعالى لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴾}[3] فقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله، وزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له. ولهذا قال: {وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ} أي تتركوا طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[4]

---

[1])سورة آل عمران،الآية103

[2])سورة الحشر،الآية7

[3])سورة الأنفال الآية20

[4])سورة النساء،الآية59

الإعتصام بالكتاب والسنة

قال الحافظ ابن كثير: (أطيعوا الله، أي اتبعوا كتابه، وأطيعوا الرسول أي خذوا سنته، وأولي الأمر منكم أي فيما أمروكم به من طاعة الله لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله) . وقوله {فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ} قال مجاهد: أي إلى كتاب الله وسنة رسوله.

وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[1]. فما حكم به الكتاب والسنة وشهدا له بالصحة فهو الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال. ولهذا قال تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾[2]أي ردوا الفصل في الخصومات والجهالات إلى الكتاب والسنة ومن لايرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنًا بالله ولا اليوم الآخر. وقوله {ذَٰلِكَ خَيۡرٞ}] أي التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله، والرجوع إليهما في فصل النزاع خير {وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا} أي وأحسن عاقبة ومآلا كما قال السدي وقال مجاهد: (وأحسن جزاء وهو قريب) . وفي كتاب الله آيات كثيرة وردت في وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع إليهما في كل الأمور.[3]

---

[1])سورة الشورى،الآية10

[2])سورة النساء،الآية59

4)كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة،نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية،لطبعة: الأولى، 1421هـ،ص293-295

المبحث الثاني:مفهوم الكتاب لغة وإصطلاحا

الكتب في اللغة: جمع كتاب، بمعنى مكتوب.
يقول ابن فارس: " الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة، يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتباً" ([1]).
والمراد بالكتب هنا- التي يجب الإيمان بها-: "هي الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله، رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة" ([2]).
الكتب لغة: جمع كتاب بمعنى مكتوب. والكتب صحف ضم بعضها إلى بعض.

والكتاب مصدر سمي به المكتوب، وهو في الأصل اسم للصحيفة مع المكتوب فيها([3])

أما تعريفها شرعاً فهي: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليخرج بها من يشاء من الظلمات إلى النور.([4])

وقيل: هي كلام الله أوحى بها إلى رسله - عليهم الصلاة والسلام - عن طريق جبريل - عليها السلام -؛ وذلك ليبلغوه للناس ليكون حجة لله على خلقه ([5])

الكتاب مصدر يكتب كتابا كتابة وكتبا، ومدار المادة على الجمع في معناها على الجمع يقال: تكتب بنو فلان .إذا اجتمعوا، وجمع الطفيلي كتيبة

وكاتبين وما خطت أناملهم حرفا ... ولا قرأوا ما خط في الكتب منهم كاتبين وما خطة أناملهم حرف([6])

---

1) معجم مقاييس اللغة (ص 917)، وينظر: تهذيب اللغة (4/ 3097)، والصحاح (1/ 208 - 209)، لسان العرب (1/ 698 - 702)، القاموس المحيط (ص 165)
2) فتاوى ابن عثيمين(5\120)
3) لسان العرب، فصل (كتب)، والعقيدة الصافية، سيد عبد الغني، (ص:81)
4) المدخل إلى الثقافة الإسلامية، مجموعة مؤلفين، (ص:127)
5) العقيدة الصافية للفرقة الناجية، سيد سعيد عبد الغني، (ص:81)
6) شرح كتاب الصيام من تقريب الأسانيد،أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم العراقي، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، دروس مفرغة من موقع الشيخ الخضير،ج1,ص10

الإعتصام بالكتاب والسنة

الكتاب لغة: يطلق على المكتوب وعلى الكتابة، والفعل كتب بمعنى: حكم وقضى وأوجب، ومنه قوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}(1) , أي: أوجبه، وكتب القاضي بالنفقة: قضى بها وحكم، وقال تعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي}(2), أي: حكم، والقرآن: مصدر بمعنى القراءة

أما تعريف الكتاب في الاصطلاح فلا يحتاج إلى تعريف لأنه معروف للجميع، دون أن يلتبس أمره على إنسان، سواء أكان مسلمًا أم كافرًا، كبيرًا أم صغيرًا، عربيًّا أم عجميًّا، وإنما نص العلماء على تعريفه لبيان ما يكون حجة في استنباط الأحكام، وما يتعبد بتلاوته، وما تجوز به الصلاة، وما يكفر به جاحده، وغير ذلك وأشهر هذه التعريفات عندهم هو من العناصر الهامة والخصائص الرئيسية

الكتاب: هو كلام الله تعالى، المنزل على سيدنا محمَّد - صلى الله عليه وسلم -، باللفظ العربي، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب بالمصاحف، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس(3

لكتاب لغة: مصدر من كتبه كتبا وكتبة وكتابة بمعنى الجمع والضم(4)

قال ابن فارس: " الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع الشيء إلى شيء"(5)

وكتبه: خطه، ومعناه: جمع الحروف إلى بعضها، ومنه: تكتب بنو فلان إذا اجتمعوا(6)

والكتاب: اسم جنس يطلق على كتابة ومكتوب، ثم غلب في عرف أهل الشرع إطلاقه على القرآن المثبت في المصاحف(7)

---

1)سورة البقرة،الآية183

2)سورة المجادلة،الآية21

3) الوجيز في أصول الفقه الإسلامي،الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا، الطبعة: الثانية، 1427 هـ - 2006 م،ج1،ص139

4) الصحاح (1/ 208)، لسان العرب (1/ 698 - 699)، تاج العروس (4/ 101 - 102) "مادة: ك ت ب

5) معجم مقاييس اللغة: (5/ 158) " مادة: ك ت ب

6)المراجع السابقة

7) شرح المحلي على جمع الجوامع (1/ 223)، شرح الكوكب المنير (2/ 7)، إجابة السائل شرح بغية الآمل (1/ 63)، إرشاد الفحول (1/ 169) (1\223) حاشية البناني على شرح المحلي على جمع الجوامع

وأما تعريف الكتاب اصطلاحا فهو: كلام الله تعالى المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المنقول إلينا بالتواتر، المعجز بنفسه، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختتم بسورة الناس([1])

1) الاجتهاد في مناط الحكم الشرعي دراسة تأصيلية تطبيقية،بلقاسم بن ذاكر بن محمد الزُّبيدي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة من قسم أصول الفقه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى عام 1435 هـ، إشراف: أ. د. غازي بن مرشد العتيبي، الناشر: مركز تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة: الأولى، 1435 هـ - 2014 م،ص348

المبحث الثالث:مفهوم السنة لغة وأصطلاحا

السنة: لغةً: العادة، وشريعةً: مشترك بين ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، وبين ما واظب النبي صلى الله عليه وسلم بلا وجوب، وهي نوعان: سنة هدى، ويقال لها: السنة المؤكدة، كالأذان والإقامة، والسنن، والرواتب، والمضمضة، والاستنشاق، على رأي، وحكمه كالواجب المطالبة في الدنيا؛ إلا أن تاركه يعاقب وتاركها لا يعاقب. وسنن الزوائد، كأذان المنفرد، والسواك، والأفعال المعهودة في الصلاة وفي خارجها، وتاركها غير معاقب.([1])

السنَّة في اللغة: الطريقةُ. وفي الشريعة: هي الطريقةُ المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب، وأيضاً ما صدر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير على وجه التأسِّي.

ومن السنن: سنةُ هدى: هي ما واظب عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - مع الترك أحياناً على سبيل العبادة، ويقال لها: السنة المؤكدة، وما كانت على سبيل العادة فهي السنة الزائدة وإن واظب عليها النبي - صلى الله عليه وسلم -.([2])

وأما الأصل الثاني فنقول: السنّة المحفوظة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها من السعة والخير ما يزول به الحرج، وإنما وقعت الشبهة لإشكال بعض ذلك على بعض الناس.([3])

وهذا هو قطب رحي الدين، وحبله المتين، وحصنه الحصين، وعروته الوثقي التي لا تنفصم، والطريق الوحيد، الذي يوصل إلى الله - سبحانه وتعالى -، والنور المضيء الذي تحيا به القلوب، والنفوس وتستقيم به الحياة كلها والضرورة اللازمة لاستمرار الحياة.

وهو سبب الرسالة التي هي: ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعادته، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا بإتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا بإتباع الرسالة، فإن الإنسان مضطر إلى الشرع

---

1)كتاب التعريفات،علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م،ص122

2)التعريفات الفقهية،محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الناشر: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م،ص117

3) دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجا وأسلوبا،عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية،ص154

... والشرع نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه من دخله كان آمنا ... والدنيا كلها ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة، وأسس بنيانه عليها، ولا بقاء لأهل الأرض، إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض، وانمحت بالكلية، خرب الله عالم العلوي والسفلي، وأقام القيامة.

وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسل، كحاجتهم إلى الشمس والقمر، والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب.... بل أعظم من ذلك وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط وبين خلقه، في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عبادة ."([1])

أخبرنا علي بن محمد بن أحمد بن بكران أنبأ الحسن بن عثمان أنبا يعقوب بن سفيان ثنا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ أَنْبَأَ عَبْدُ اللَّهِ بن المبارك أنبا الربيع ابن أنس عن أبي داود عن أبيّ بن كعب قال: عليكم بالسبيل والسنة وذكر الرحمن، ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل فيعذبه وما على الأرض عبد على السبيل والسنة وذكر الرحمن في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك إذا أصابتها ريح شديد وفتحت عنها ورقها الا حط عنه خطاياه كما تحات عن تلك الشجرة ورقها، وانّ اقتصادا الى سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة، فانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وسنتهم([2])

أخبرنا محمد بن أحمد بن علي بن حامد ثنا أحمد بن السري بن صالح ثنا يعقوب بن سفيان ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر ثنا موسى بن عقبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: انما هما اثنان الكلام والهدي، فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدي هدي محمد، ألا وإياكم ومحدثات الأمور، وأن شر الأمور محدثاتها وأن كل محدثة بدعة، ألا لا يطول عليكم الأمد فتقسو قلوبكم([3])

---

[1]) حقيقة البدعة وأحكامها،سعيد بن ناصر الغامدي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض،ج1،ص49

[2]) .اللالكائي: كتاب شرح السنة (مخطوطة) ق 11 أ- ب

[3]) .اللالكائي: كتاب شرح السنة (مخطوطة) ق 17 ب

أخبرنا علي بن محمد بن محمد بن أحمد بن بكران ثنا الحسن بن عثمان ثنا يعقوب بن سفيان ثنا محمد بن عقبة الشيبانيّ ثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو عن عبد الله بن الديلميّ قال: ان أول ذهاب الدين ترك السنة يذهب الدين سنة سنة ويذهب الحبل قوة قوة. قال ابن الديلميّ: سمعت ابن عمرو يقول: ما ابتدعت بدعة الا ازدادت مضيا، ولا تركت سنة الا ازدادت هويا

وأخبرنا علي- يعني ابن محمد بن محمد بن أحمد بن بكران ثنا الحسن- يعني ابن عثمان- ثنا يعقوب ثنا صفوان بن صالح ثنا عمر بن عبد الواحد عن الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: ما ابتدع قوم بدعة في دينهم الا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها عليهم الى يوم القيامة

أخبرنا علي بن محمد بن أحمد بن بكران أنبأ الحسن بن عثمان ثنا يعقوب بن سفيان ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا رشدين بن سعد حدثني عقيل عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العزيز قال: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل، واستكمال لطاعته، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها، فمن اقتدى بما سنّوا اهتدى ومن استبصر بها أبصر، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولّاه الله عز وجل ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا([1])

1) المعرفة والتاريخ،يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف، لمحقق: أكرم ضياء العمري، االناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، 1401 هـ- 1981 م،ج3،ص386

الفصل الثاني:أهمية الإعتصام بالكتاب والسنة

المبحث الأول:أهمية الإعتصام بالكتاب

المبحث الثاني:أهمية الإعتصام بالسنة

المبحث الأول:أهمية الإعتصام بالكتاب

(فعلى المسلم) الاعتصام بالكتاب والسنة وأن يجتهد أن يعرف ما أخبر به الرسول وأمر به علماً يقيناً وحينئذ فلا يدع المحكم المعلوم للمشتبه المجهول، فإن مثال ذلك من كان سائراً إلى مكة في طريق معروفة لاشك أنما توصله إلى مكة إذا سلكها فعدل عنها إلى طريق مجهولة لا يعرفها ولا يعرف منتهاها، وهذا مثال من عدل عن الكتاب والسنة إلى كلام من لا يدري هل يوافق الكتاب والسنة أو يخالف ذلك. (وأما) من عارض الكتاب والسنة بما يخالف ذلك فهو بمنزلة من كان يسير على الطريق المعروفة إلى مكة فذهب إلى طريق قبرص يطلب الوصول منها إلى مكة فإن هذه حال من ترك المعلوم من الكتاب والسنة إلى ما يخالف ذلك من كلام زيد وعمرو. لهذا قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾[1] فأخبر أنه أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط وذكر أنه أنزل الحديد الذي به ينصر هذا الحق، فالكتاب يهدي والسيف ينصر كفى بربك هادياً ونصيراً، ولهذا كان قوام الناس بأهل الكتاب الذي هو القرآن وأهل الحديد كما قال من قال من السلف صنفان إذا صلحوا صلح الناس العلماء والأمراء، وقالوا في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[2]

المراد بأولي الأمر

هم أقوال العلماء والأمراء ولهذا نص الإمام أحمد وغيره على دخول الصنفين في هذه الآية إذ كل منهما تجب طاعته فيما يقوم به من طاعة الله وكان نواب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته كعلي ومعاذ وأبي موسى وعتاب بن أسيد وعثمان بن أبي العاص وأمثالهم يجمعون الصنفين وكذلك خلفاؤه من بعده كأبي بكر

---

[1])سورة الحديد،الآية25

[2])سورة النساء،ألآية59

وعمر وعثمان وعلي ونوابهم، ولهذا كانت السنة أن الذي يصلي بالناس صاحب القرآن، والذي يقوم بالجهاد صاحب الحديد، إلى أن تفرق الأمر بعد ذلك فإذا تفرق صار كل من قام بأمر الحرب من جهاد الكفار وعقوبات الفجار يجب أن يطاع فيما أمر به من طاعة الله في ذلك، وكذلك من قام يجمع الأموال وقسمها يجب أن يطاع فيما أمر به من طاعة الله في ذلك، وكذلك من قام بالكتاب بتبليغ أخباره وأوامره وبيانها يجب أن يصدق ويطاع فيما أخبر به من الصدق في ذلك وفيما يأمر به من طاعة الله في ذلك.

والمقصود هنا بذلك كله هو أن يقوم الناس بالقسط الذي هو التوحيد وهو عبادة الله وحده لا شريك له قال عز من قائل: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾و([1])قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾([2])وقال: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾([3])وقال:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾([4])وقال: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾([5])ودين الإسلام العام الذي اتفقت عليه جميع النبيين هو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾([6])وقال نوح عليه السلام ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾([7])وقال الله عن إبراهيم ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ

---

[1])سورة الأعراف،ألآية29

[2])سورة الأنبياء،الاية25

[3])سورة الزخرف:ألآية45

[4])سورة النحل،الآية36

[5])سورة الشورى،الآية13

[6])سورة آل عمران،الآية85

[7])سورة يونس،ألآية72

قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]الى قوله ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾وقال عن موسى:﴿ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [2][3]

ومن بين الأسباب التي رتب الله سبحانه وتعالى عليها الهداية لعباده، حسب سنته تعالى في الهداية والإضلال: الاعتصام بالله وهو الامتناع بالله والالتجاء والفزع إليه والتوكل عليه في دفع شرور الكفار التي تؤدي بالمؤمنين إلى الضلال الذي يريده الكفار من المؤمنين عامّة في قوله:﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ ﴾[4]. واليهود خاصة كما ورد في قولهﷺ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴾[5].

فقد بين سبحانه وتعالى أن الاعتصام بالله من التمسك بدينه والتوكل هو العمدة في الهداية إلى الصراط المستقيم والعمدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد وطريق السداد.

قال تعالى: ﴿ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[6].

فقوله: " فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" جواب الشرط ولكونه ماضياً مع "قد" أفاد الكلام تحقق الهدى (3). حتى كأنه حصل وأن الهداية حاصلة حسب سنته سبحانه لا محالة.

---

[1])سورة البقرة،ألآية131

[2])سورة يونس،اآلآية84

3)التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: دار طيبة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1404هـ/ 1984م،ص356

[4])سورة النساء،ألآية89

[5])سورة آل همران،ألآية99

[6]) سورة آل همران،ألآية101

ونظراً لأهمية الاعتصام فقد جاءت عدة آيات في كتاب الله تدعو المؤمنين وتذكرهم بالاعتصام بالله وبعهده من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[1]

وقوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[2][3]

روى الواحدي بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني قد خلّفت فيكم شيئين لن تضلوا أبدا ما أخذتم بهما، وعملتم بما فيهما، كتاب الله عزّ وجلّ، وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض.

وأخرج البغوي بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال: أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين. قال البغوي: صحيح أخرجه مسلم عن زهير بن حرب.

وعن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى (خما) بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال:

أما بعد: ألا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحثّ على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. وزاد في رواية: كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى، ومن أخطأه ضلّ.

وأخرج البغوي بسنده عن الحارث الأعور قال: مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث، فدخلت على علي رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى أن الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت: نعم. قال: أما إني قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إلا إنها ستكون

---

[1])سورة الحج،الآية78

[2]) سورة ال عمران،الآية103

3)الإيمان بالقدر،عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر:- المكتبة العصرية للطباعة والنشر (271 صفحة)، دار المعرفة للطباعة والنشر (408 صفحة)،ص118

فتنة. قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾[1]من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم. خذها إليك يا أعور.[2]

إذ الاعتصام والتمسك بهذا القرآن يمثلان مفرق طرق لأبناء الأمة الإسلامية، يتحتم علينا أن ننظر كيف تعامل النبي -عليه الصلاة والسلام- مع هذا الوحي المنزل عليه من عند ربه -جل وعلا-، حينما جاءه أمر الله تعالى بالقراءة، ثم أمره بأن يتمسك بما يقرأ، فقال: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3]، قال ابن جرير في تأويل هذه الآية: يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد -عليه الصلاة والسلام-: فتمسّك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك)، وثم أمره ثالثةً بتبليغه لهذه البشرية، ويعلمه أصحابه -رضوان الله عليهم- فقال: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)، لذلك كان -عليه الصلاة والسلام- يبدي حرصه الشديد على أن يكون الوحي هو المصدر الوحيد للتلقي والتعليم لأصحابه، وأمرهم أن يتمسكوا به دون سواه من الكتب السماوية المنسوخة -التوراة وغيرها-، وهذا ظاهر في طريقته ومنهجه -عليه الصلاة والسلام- ويدل هذا غضبه على عمر عندما رأى في يده صحيفة من التوراة، ثم قال: (والله لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعي).

فهذا منهج جلي وواضح للدعوة إلى التمسك بهذا المنبع الصافي في طور التلقي والتعليم، فإن تحصين الجيل وحصر هم على الوحي المنزل أثناء التلقي والتعليم يمثل أساساً وحصناً منيعاً من الابتداع في هذا الدين، فحينما نمعن النظر في سبب كثرت البدع والمحدثات؛ نجده نتيجةً لعدم تحصنهم بالوحي، ولاختلاط مناهج التلقي

---

[1]) سورة الجن،الآية1-2

1)علوم القرآن من خلال مقدمات التفاسير من نشأتها إلى نهاية القرن الثامن الهجري،محمد صفاء شيخ إبراهيم حقي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى،2004/1425،ج2،ص174

[3])سورة الزخرف،الآية43

وعدم وحدة المصدر، وإن شئت فقرأ قول الله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[1]ففي هذه الآيات الكريمات حذر الرب تعال من طاعة أهل الكتاب، والاقتباس من منهجهم وعقيدتهم التي هي مصدر الزيغ الضلال، وسبباً للتبديل والانحراف في منهج الوحي القرآني، إذ كيف يصوغ لمن وجد بين أيديهم هذه الآيات تتلى، وفيهم رسوله يبين لهم طريق الاستقامة؛ أن يلتمسوا الهدى من دين محرف، وأهله مغضوب عليهم، والبعض أضلهم عن طريق الهداية!! (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله)؟!، ثم بين أن الاعتصام والتمسك به سبحانه سبيل للهداية للطريق القويم.

قال محمد رضا عند قوله تعالى﴿وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ (وكيف تكفرون بطاعتهم واتباع أهوائهم وأنتم تتلى الاعتصام إذن هو حبله الممدود. ورسوله هو الوسيلة إليه وهو ورده المورود فقد هدي إلى صراط مستقيم لا يضل فيه السالك، ولا يخشى عليه من المهالك، فلا تروج عنده الشبهات، ولا تروق في عينه الترهات).

إن التلقي من هذا الكتاب المنزل على نبي العالمين فيه غنية وكفاية عن غيره من ا الكتب والثقافات والعلوم، وإن كانت كتباً سماوية.؟ نعم وإن كانت كتب سماوية كالتوراة وغيرها، فما بالك بكتب أرضية بشرية، فهي ابعد من أن ننظر إليها، فقد أنزل الله تعالى على محمد - عليه الصلاة والسلام - قوله: ﴿ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾.[2] وقد أورد القرطبي: أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوماً من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- انتسخوا شيئا من بعض كتب أهل الكتاب، وأورد حديثاً عن يحيى بن جعدة، أن ناسا من المسلمين أتوا نبي الله - صلى الله عليه وسلم- بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما رآنا ننظر فيها ألقاها، ثم قال: كفى بها

[1])سورة آل عمران،الآية100-101

[2])سورة العنكبوت،الآية51

حماقة قوم، أو ضلالة قوم، أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، إلى ما جاء به غير نبيهم، إلى قوم غيرهم، فنزلت: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ".

فالبعد عن القرآن جعل من الرسول -عليه الصلاة والسلام- يرفع الشكوى إلى رب العالمين من قومه لهجرهم تعلم هذا القرآن، وعدم التمسك به في العلم والعمل، وقد جاءت هذه الشكوى بقوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾[1].

وقد تحدث ابن القيم عن هذه الآية، و ذكر أنواعاً لهجر للقرآن الكريم من هذه الأمة، فذكر من أنواع الهجر: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه، و هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه. وفي الآية تحذير وزجر من عدم هذا تعلم هذا القرآن الكريم وسماعه والإيمان به والإصغاء إليه، وعدم التدبر والتفهم والمعرفة لما أراد رب العزة من منه؛ لأن العبد إذا تولد لديه التمسك بكلام خالقه وسيده، لا يصغي لغيره من الخطابات المرجفة، والأقوال المضللة.[2]

[1])سورة الفرقان،الآية30

[2])، الاعتصام بالقرآن أمان من الابتداع،فضل محمد البرح، المصدر: الشاملة الذهبية،ص8

المبحث الثاني:أهمية الإعتصام بالسنة

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يا رسول الله، ومن يابى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».[1]

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: جاءت ملائكة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا، وجعل فيها مادبة وبعث داعيا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المادبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المادبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد - صلى الله عليه وسلم -، فمن أطاع محمدا - صلى الله عليه وسلم - فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا - صلى الله عليه وسلم - فقد عصى الله، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - فرق بين الناس.[2]

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «دعوني ما تركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم»].[3]

قال ابن القيّم- رحمه الله-: الاعتصام نوعان:

---

[1]) رواه البخاري: 7280

[2]) رواه البخاري: 7281

[3]) رواه البخاري: 7288

الإعتصام بالكتاب والسنة

اعتصام بالله، واعتصام بحبل الله. قال الله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1]

،وقال تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[2]

ومدار السّعادة الدّنيويّة والأخرويّة: على الاعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلّا لمن تمسّك بهاتين العصمتين.

فأمّا الاعتصام بحبله: فإنّه يعصم من الضّلالة، والاعتصام به: يعصم من الهلكة، فإنّ السّائر إلى الله كالسّائر على طريق نحو مقصده، فهو محتاج إلى هداية الطّريق. والسّلامة فيها، فلا يصل إلى مقصده إلّا بعد حصول هذين الأمرين له. فالدّليل كفيل بعصمته فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية واتّباع الدّليل. والاعتصام بالله يوجب له القوّة والعدّة والسّلاح، والمادّة الّتي يستلئم بها في طريقه. ولهذا اختلفت عبارات السّلف في .الاعتصام بحبل الله، بعد إشارتهم كلّهم إلى هذا المعنى

.فقال ابن عبّاس: تمسّكوا بدين الله

وقال ابن مسعود: هو الجماعة، وقال: «عليكم بالجماعة، فإنّها حبل الله الّذي أمر به، وإنّ ما تكرهون في الجماعة والطّاعة خير ممّا تحبّون في الفرقة"

. «وقال مجاهد وعطاء «بعهد الله» وقال قتادة والسّدّيّ وكثير من أهل التّفسير: «هو القرآن

وقال مقاتل: بأمر الله وطاعته، ولا تفرّقوا كما تفرّقت اليهود والنّصارى.

.قال صاحب المنازل: الاعتصام بحبل الله هو المحافظة على طاعته مراقبا لأمره

ويريد بمراقبة الأمر: القيام بالطّاعة لأجل أنّ الله أمر بها وأحبّها، لا لمجرّد العادة، أو لعلّة باعثة «1» سوى امتثال الأمر، كما قال طلق بن حبيب في التّقوى: هي العمل بطاعة الله على نور من الله، ترجو ثواب الله، .وترك معصية الله على نور من الله، تخاف عقاب الله

---

[1])سورة آل عمران،الآية103

[2])سورة الحج،الآية78

.فالاعتصام بحبل الله يحمي من البدعة وآفات العمل، والله أعلم

وأمّا الاعتصام به: فهو التّوكّل عليه، والامتناع به، والاحتماء به، وسؤاله أن يحمي العبد ويمنعه، ويعصمه ويدفع عنه، فإنّ ثمرة الاعتصام به: هو الدّفع عن العبد، والله يدافع عن الّذين آمنوا، فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصم به كلّ سبب يفضي به إلى العطب، ويحميه منه، فيدفع عنه الشّبهات والشّهوات، وكيد عدوّه الظّاهر والباطن، وشرّ نفسه، ويدفع عنه موجب أسباب الشّرّ بعد انعقادها، بحسب قوّة الاعتصام به «وتمكّنه، فتفقد في حقّه أسباب العطب، فيدفع عنه موجباتها ومسبّباتها. «3

قال الشّيخ أحمد شاكر في قوله تعالى وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا: أمرهم بالجماعة، ونهاهم عن التّفرّق، وقد وردت الأحاديث المتعدّدة بالنّهي عن التّفرّق والأمر بالاجتماع والائتلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمّة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة منها فرقة ناجية إلى الجنّة ومسلّمة من عذاب النّار، وهم الّذين على ما كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه.([1])

غاية الاعتصام بالنسبة للفرد المسلم: هو تحقيق الركن الثاني من ركني صحة العمل في الظاهر وقبوله في .الباطن

وذلك لأن العلماء لم يختلفوا في أن صحة العمل وقبوله عند الله تعالى له ركنان:

الركن الأول: الإخلاص، بألا يبتغي العبد بعمله إلا وجه الله ومرضاته. وهذا ركن باطن فهو من أعمال القلب، وإذا فسد هذا الركن فسد العمل ولم يقبله الله من صاحبه وإن صَحَّ في الظاهر، كالمنافق النفاق الأكبر الذي يصلي مع المسلمين صلاة كاملة صحيحة في الظاهر وهو كافر في الدرك الأسفل من النار. قال تعالى (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشِرْكَه).([2])

---

1)نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم،عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام ، وخطيبالحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة،ج2،ص411

2)صحيح مسلم2985

الإعتصام بالكتاب والسنة

والركن الثاني: متابعة الشريعة، بأن يكون العمل موافقا للكتاب والسنة، ويتحقق هذا بالاعتصام بالكتاب والسنة، وبه يكون العمل صحيحا صوابا في الظاهر، وإذا فسد هذا الركن فسد العمل كله وكان مردوداً غير مقبول، كما قال عليه الصلاة والسلام (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد).

وقد جُمع الركنان في قوله تعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1]فالعمل الصالح هو الصواب الموافق للكتاب والسنة، وعدم الإشراك في العبادة هو الإخلاص .

فغاية الاعتصام بالنسبة للفرد المسلم هو تحقيق الركن الثاني من ركني صحة العمل وقبوله. والحق أن الاعتصام يدل على الركنين جميعا (الإخلاص والمتابعة)، وإنما كان الاعتصام أكثر ظهوراً في الركن الثاني لأنه ركن ظاهر.

أما غاية الاعتصام بالنسبة لمجموع الأمة المسلمة: فهو حفظ الدين على أصوله المستقرة. بحفظ الشريعة من التبديل والتحريف والمحدثات، لتظل بيضاء نقية كما كانت عليه في زمن الجماعة الأولى وهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وصحابته رضي الله عنهم.[2]

[1])سورة الكهف،الآية110

[2]) ملحوظات الجوامع، المصدر: الشاملة الذهبية،ج1،ص206 الجامع في طلب العلم الشريف،عبد القادر عبد العزيز،تعليق: أبو محمد عاصم بن محمد بن طاهر البرقاوي على الباب السابع بعنوان: النكت اللوامع على

الفصل الثالث:حكم الإعتصام بالكتاب والسنة

المبحث الأول:حكم الإعتصام بالكتاب

المبحث الثاني:حكم الإعتصام بالسنة

المبحث الأول:حكم الإعتصام بالكتاب

الحكم بالكتاب والسنة واجب

إن الكتاب والسنة الصحيحة هما المصدر الأساسي للحق، والمنبع الصافي لدين الإسلام، فيهما المنهج الكامل لحياة البشر، وهما الميزان الصحيح الذي توزن به الأقوال والأعمال والأفعال، وبالإعراض عنهما، والصد عن سبيلهما تقع الفتن، وتحل الرزايا والمحن.

ولقد تضافرت أدلة الكتاب والسنة وأقوال السلف في التنبيه على هذا الأمر العظيم (الاعتصام بالكتاب والسنة)، وأن التمسك بهما سبب رئيس في النجاة من الفتن كلِّها.

فمن أدلة القرآن على وجوب الاعتصام بالقرآن قوله - عزّ وجل -: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾[1]، وقد جاء عن السلف تفسيرات عديدة في المراد بالحبل، لا تعارض بينها، ومما ذكروا في تفسير الحبل أنه القرآن)، وقال الطبري عند قوله سبحانه: **وَلَا تَفَرَّقُواْ**: ((يعني جل ثناؤه بقوله: {ولا تفرقوا} ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم - والانتهاء إلى أمره))

وقد لخص الإمام ابن القيم - رحمه الله - حقيقة الاعتصام بالقرآن بقوله: ((وهو تحكيمه دون آراء الرجال ومقاييسهم، ومعقولاتهم، وأذواقهم وكشوفاتهم ومواجيدهم. فمن لم يكن كذلك فهو مُنسل من هذا الاعتصام. فالدين كله في الاعتصام به وبحبله، علمًا وعملاً، وإخلاصًا واستعانة، ومتابعة، واستمرارًا على ذلك إلى يوم وإن هذا الأمر وهو الدعوة إلى الاعتصام بالكتاب والسنة قد جاء مقررًا في القرآن بأساليب القيامة))

الترغيب كما في قوله سبحانه: ﴿ **وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾[2]، وقوله: ﴿ **وَمَن يُطِعِ**

---

[1])سورة آل عمران،الآية103

[2]) سورة آل عمران،الآية132

الإعتصام بالكتاب والسنة

ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[1]

ومن أسلوب الترهيب قوله - جلا وعلا -:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[2]

وقرر ربُّنا - تعالى - هذا الأمر العظيم - الاعتصام بالكتاب والسنة - بوضوح عند الحديث عن التحاكم، وأنه يجب أن يكون إلى الكتاب والسنة، وإلا وقعت الفتنة، ونزلت المحنة.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[3].

ففي هذه الآية الكريمة أمر - عزّ وجل - برد تنازع الناس كله، في أصول الدين وفروعه إلى الكتاب والسنة، وأن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، وأنه لا سلامة للأمة من جميع الفتن، وخاصة فتنة الافتراق والاختلاف إلا باتباعهما.[4]

الاعتصام بحبل الله هو سبيل المنعة والقوة، وهو سبيل النصر والتمكين والعزة والكرامة، ولقد سجلت أمة الإسلام في التاريخ مكانة مرموقة وسؤدداً عظيماً يوم أن تمسك المسلمون بدينهم، واعتزوا بتعاليم ربهم وتمسكوا بسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم -، والتمسوا العزة في دين الله فأعزهم الله سبحانه، وأظهرهم على أعدائهم، فحافظوا على قيادتهم للإنسانية، وريادتهم للبشرية ما بقوا معتصمين بحبل الله، متآلفين على قلب رجل واحد، فهابهم أعداؤهم، وحسبوا لهم ألف حساب وحساب، وحين وقع الخلاف بين أبناء الأمة، وتنازعوا فيما بينهم ضاعت هيبتهم من قلوب أعدائهم، وأصابهم الوهن والضعف، فتداعت عليهم الأمم كما

---

[1])سورة النساء،الآية69

[2])سورة التغابن،الآية12

[3])سورة النساء،الآية59

[4]) سبل النجاة من الفتنة،عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، المصدر: الشاملة الذهبية،ص2-3

تتداعى الأكلة إلى قصعتها وذهبت ريحهم وتبددت قوتهم، وأصبحت بلاد العالم الإسلامي لقمة سائغة، يتطاول عليها القاصي والداني، ويتجرأ عليها الضعفاء قبل الأقوياء.

لذلك يخاطبنا رب العزة والجلال بضرورة الاعتصام والوحدة والبعد عن الاختلاف والفرقة حتى يعود للأمة مجدها وعزتها وسؤددها، وذلك في الآيات الآتية:

1-قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾.([1])

2 - وقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾([2])

3-وقوله: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ ﴾([3])

4-وقوله﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ([4])

5-وقوله: ﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾([5])

6-وقوله:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ آ([6])ل عمران: ١٠٥

7-وقوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾([7])

---

[1])سورة آل عمران،الآية103

[2]) سورة النساء: الآية 146

[3])سورة النساء،الآية175

[4])سورة آل عمران،الآية101

[5])سورة الحج،الآية78

[6])سورة آل عمران،الآية105

[7]) سورة آل عمران،الآية103

8-وقوله﴿ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾[1]

9-وقوله:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ ﴾[2]

10-وقوله:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [3]

11-مثل: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[4]

12 - ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡ ﴾[5]

13-وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾[6]

14- وقوله: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾[7]

15- وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[8]

---

[1])سورة الشورى،الآية13

[2])سورة آل عمران،الآية152

[3])سورة الأنفال،الآية46

[4])سورة الأنعام،الآية153

[5])سورة هود،الآية118-119

[6])سورة الأنعام،الآية59

[7])سورة الروم،الآية32

[8])سورة التوبة،الآية107

وبالنظر إلى الآيات السابقة - سواء التي حثت على الاعتصام بحبل الله أو التي حذرت من الفرقة والاختلاف ونهت عن التنازع الذي يؤدي إلى الفشل وذهاب القوة والهيبة - نلاحظ أن جميع هذه الآيات مدنية أي أنها نزلت بعد هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة وإقامة دولة الإسلام على أرضها، وألمس في ذلك إشارتين:

الإشارة الأولى: للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولأصحابه بأن اعتصامهم بحبل الله هو سبب من أسباب بناء دولتهم ونشأتها وإظهاره على أعدائه بعد تلك السلسلة من العذابات التي تعرض لها هو وأصحابه في مكة وتلك الهجرات المتتالية بدءاً بالهجرة الأولى إلى الحبشة ومروراً بالهجرة الثانية إليها، وهجرته - صلى الله عليه وسلم - إلى الطائف وانتهاء بالهجرة إلى المدينة المنورة، كما كان في هذه الآيات المدنية أيضاً تحذير للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من الفرقة والاختلاف لأن ذلك سيؤدي إلى الضعف بعد القوة وإلى الفشل والهزيمة بعد النجاحات والنصر والتمكين.

الإشارة الثانية: إلى أبناء أمة الإسلام بأن يعتصموا بحبل الله ويلجأوا إليه ويحتموا بجنابه حتى يعودوا إلى مجدهم وعزهم، فلا يمكن أن تقوم لهم قائمة إلا بالسير على خطى الحبيب محمد - صلى الله عليه وسلم - ولن تعود إلى الأمة عزتها وكرامتها إلا إذا اعتز أبناؤها بالإسلام ونبذوا الفرقة والخلافات وأصبحوا على قلب رجل واحد فلن تنصر أمة الإسلامة ولن يتحقق وعد الله لها إلا بنصرة دينه كما قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾[1].[2]

[1])سورة محمد،الآية7

[2]) الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات،د. محمود هاشم عنبر، المصدر: الشاملة الذهبية،ص7

المبحث الثاني:حكم الإعتصام بالسنة

حكم الأعتصام بالسنة واجب

عن أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله، ومن يابى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».[1]

704. عن جابر بن عبد الله، قال: " جاءت ملائكة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلا، فاضربوا له مثلا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى دارا، وجعل فيها مادبة وبعث داعيا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المادبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المادبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد - صلى الله عليه وسلم -، فمن أطاع محمدا - صلى الله عليه وسلم - فقد أطاع الله، ومن عصى محمدا - صلى الله عليه وسلم - فقد عصى الله، ومحمد - صلى الله عليه وسلم - فرق بين الناس "[2]

705. عن أبي هريرة، قال: خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -،فقال: «أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا»،فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:"لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم "،ثم قال: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه»[3]

---

[1] صحيح البخاري (9/ 92) (7280) [ش (أبى) امتنع عن قبول الدعوة أو عن امتثال الأمر]

[2] صحيح البخاري (9/ 93،(7281)

3)إرشاد الحيران فيما اتفق عليه الشيخان مع الشرح (ص: 1492) 950. 1337) أخرجه البخاري في: 96 كتاب الاعتصام: 2 باب الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم

706. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من أطاعني، فقد أطاع الله، ومن عصاني، فقد عصى الله"([1])

وكما تواترت أدلة القرآن على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، فقد جاءت كذلك أدلة السنة على هذا النحو أيضًا، فقد ثبت في الحديث الصحيح أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعظ الصحابة موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقيل: يا رسول الله، وعظتنا موعظة مودع، فاعهد إلينا بعهد. فقال - صلى الله عليه وسلم -: ((عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإنْ عبدًا حبشيًا، وسترون بعدي اختلافًا شديدًا. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كلَّ بدعة ضلالة)) (3).

وفي الحديث الآخر: ((يا أيها الناس: إني قد تركت فيكم، ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا، كتاب الله وسنتي)) (4).

وفي الحديث الصحيح أيضًا: ((ألا وإني أُوتيت القرآن ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته (1)، يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه، وإنّ ما حرّم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما حرّم الله)).

فهذا الحديث كله تخويف وتحذير من مغبة مخالفة سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - مما ليس له في القرآن ذكر، على ما ذَهَبَ إليه كثير من الفرق المبتدعة حتى فُتنوا، وفَتَنوا

وكما أجمعت الأدلة من السنة على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، وعرفنا أنه بالإعراض عنهما تحصل الفتنة، وتحل المحنة، فقد أجمعت كذلك أقوال السلف الصالح - رحمهم الله تعالى - على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، وأن الفتنة تحدث إذا خالف الناس هذين المصدرين العظيمين.

[1]) سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (1/ 4) (3) صحيح وهو في الصحيحين

فهذا ابن عباس - رضي الله عنهما - يأتيه رجل، ويقول له: أوصني، فيقول - رضي الله عنه -: ((عليك بالاستقامة، واتباع الأثر، وإياك والتبدع))

وهذا الإمام القرطبي - رحمه الله - يقول - وهو يعلق على قوله تعالى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾[1]-: ((أوجب تعالى علينا التمسك بكتابه، وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم -، والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمر بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسنة اعتقادًا وعملاً، وذلك سبب اتفاق الكلمة، وانتظام الشتات الذي يتم به مصالح الدنيا والدين))[2]

[1])سورة آل عمران،الآية103

[2]) سبل النجاة من الفتنة،عبد الحميد بن عبد الرحمن السحيباني، المصدر: الشاملة الذهبية،ص5